مراجعة نقدية :

"الجبل الصغير"

نموذج ناجح لأدب جديد أفرزته الحرب

عندما يصير الدم احتمالا ، والارض احتمالا ، والحياة احتمالا ، عندما يصير الانسان احتمالا لا بد لك حينها ان تتقدم شاهرا سيفك لتحقق احتمالك .

● هل الفن حالة احتجاج داخلي ، تختزن داخل النفس البشرية ثم تخرج من هذه النفس مثل البركان لتشكل عالمها وتقول ما تريد ، ام الفن حالة احتجاج خارجي على الداخل يدخل فينا ويخل في وعينا ليخرج بعد حين ، لنتفق اولا ان الفن يتوالد من شقي التناقض بين الداخل والخارج بين الخاص والعام لكن هذا التناقض تنتج عنه ضرورة اللحمة بين الاشياء .

وهذا لا يتم الا اذا كان لدى الفنان امانة صارمة للواقع وغير مزورة ، ووعيا فكريا من نتاج هذا الواقع ايضا ، يبني الفنان على اساس هذا الوعي حلمه القادم .

وقبل الانتقال الى العمل الادبي الذي قدمه « الياس خوري » في مجموعته القصصية « الجبل الصغير » ، والموزعة على ١٧٣ صفحة من الحجم المتوسط والصادرة عن دار الآداب في بيروت بثمن ٧ ليرات او ما يعادلها ، تجدر الاشارة الى ان المجموعة تتناول حالة خاصة هي الحرب وعلى هذا الاساس سوف نتعامل مع هذه المجموعة .

يتساءل الياس خوري في مقالته (الثقافة والبوليس ـ شؤون فلسطينية ـ العدد ٦٠) عن الكتابة في زمن الحرب ، يقول « أن الكتابة في التغيير انخراط في التغيير وتغيير في الكتابة » .

ويقول ايضا ان « الكتابة ، هي تلخيص لكثافة الحركة التي في الواقع ، حيث الكلمات اشارات لما تصنعه التجربة » (الثقافة والبوليس) .

فماذا يقول « الجبل الصغير » وهي القصة الاولى في مجموعته الموزعة على خمس قصص .

تستشف من قراءتك « للجبل الصغير » ان الياس خوري ، يعتمد على الذاكرة ، والطفولة والحلم ، والشعر ، ليشكل حركة تجربتة ، لكن هذه التجربة تتشعب باتجاهات عديدة وبحرية قل نظيرها في اي كتابة قصصية ليكون بعد هذا وحدة الموضوع .

وهذا يتم عن طريق التداعيات الفطرية عند الكاتب فيعطي هذا التداعي تجربتة نوعا من الحضور المشغل الباحث ابدا عن لحظة استقرار ، الهدف فترتسم امامك صورة الحرب ، من خلال مجموعة من المقاتلين ، يتجسد لديهم احساس غير عادي ، بأن عيد الانسان أو فرصته ، تتكون في البنادق التي يحملونها ، وهذه المجموعة هدفها البحر ينطلقون اليه من الكنيسه التي تصير فيما بعد العالم الذي يحمل بين جنباته حركاتهم ، وبالتالي تتحول الكنيسه الى الزمان والمكان ، لكن المكان والزمان في زمن الحرب حالة ، طالما ان الهدف الاساسي من الحرب لم نحصل عليه بعد ، « كانت فلسطين خارطة ، لكنها اصبحت البحر » ..

« الموت عصفور يقول جابر ، وطلال يحلم ببحر طويل كشعر حبيبته ، يحمل آلكاميرا والبندقية ويقفز الى الموج » .

ان هذه اللغة تحمل بين جنباتها ابعاد الحرب ، فهي ليست لغة جامدة ساكنة بل لها بعدها المضموني يقدمه لنا الكاتب ضمن لغة شعرية تجذبك باتجاهها لتترك لك بعد هذا ان تقوم بعملية تقصي لانتزاع انفعالاتك وحركتك من بينها ، اذ عليك انت ان تكون حالتك وسط هذا الموج الذي تتحرك فيه قصة « الياس خوري » لكن هذه الحالة لا تستطيع ان تنساها بل تترك لنفسها ان تختل الذاكرة عندك .

في « الاحتمال الاخير » تجد نفسك امام علاقة جديدة ، حيث تدخل المرأة الى ميدان الحرب ، وتبقى تلاحقك على الدوام ، لكن هذه العلاقة ليست علاقة عادية ، فلها طعمها الخاص ، ولغتها الخاصة ، وزمنها الخاص ايضا ، هذا الزمن هو زمن الحرب ، يحمل لنا بين جنباته ، الهم ، والتوتر ، والحلم ، والفرح ، لذا لا بد ان يصير موضوع العلاقة مع المرأة تجسيدا لحالة معينة نعيشها وسط هذه الهالة من الاحتمالات ، والملفت للنظر ان المرأة تدخل من عدة جوانب لتشكل بعد هذا الاطار الاجتماعي للحرب ، بما تحمله هذه الحرب من اعباء اقتصادية واجتماعية ، لكن المرأة تبقى داخل القصة حالة تبحث عن موقعها الفعلي والثابت داخل هذه المتغيرات ، لكن بحثها هذا يطرح العديد من القضايا ، الخبز ، والزواج ، والموت ، والحرب والاطفال ، ومن خلال ما ذكرت تتكون في ذهنك عدة اسئلة .

● هل المرأة توصلت الى مرحلة ادماج فعلي في الصراع ، فشاطرت الرجل همومه ، وعلى هذا الاساس تشكلت العلاقة في ما بينهم .

● هل الحرب خلقت حالة خاصة في ميدان العلاقة بين الرجل والمرأة يتوجب على اثرها حدوث انفصام بين التراث والوعي .

في « الاحتمال الاخير » يحاول الياس خوري جاهدا ان يلتقط همزم الحرب من خلال المرأة فالمرأة في هذا الاطار تحمل العديد من المفاهيم المتشابكة في ما بينها لترسي في النهاية الارضية التي نتمكن من خلالها ان نشاهد المجتمع بكل تناقضاته .

اما في « الدرج » وهي القصة الرابعة ضمن المجموعة ، يضعك « الياس خوري » امام رسوم جديدة ، هذه الرسوم تصور لك وبكل جرأة دور الانسان العادي داخل الحرب لكن النماذج التي

غلاف « الجبل الصغير »

ينطلق منها باتجاه المكان الذي يشكل الهدف الاساسي عنده .

« يدخلون يبحثون في البيت عني ، لم اكن هناك ، يبحثون بين الكتب والاوراق ، لم اكن هناك ، اكتشفوا كتابا على غلافه الخلفي صورة عبد الناصر ، لم اكن هناك ، قلبوا الاوراق واثاث المنزل شتموا الفلسطينيين ، كسروا سريري وهم يفتشونه ، شتموا امي والجبل الفاسد ، لم اكن هناك ،

امي كانت هناك

لم اكن هناك

كنت في الجانب الشرقي من المدينة ، ابحث عن الجبل الصغير ممددا على قامه رجال ينبت البحر في عيونهم » .

انها بداية الحرب ، يقوم « الياس خوري » بتسجيل مراحل تطورها ، بلغة شعرية تترك فيك حالة من الانسياب الواعي ، وتدفعك لان تشترك في البحث .

في « الكنيسه » وهي القصة الثانية من المجموعة ، يتجمع الحلم وتبدا في السير نحو

يتناولها الكاتب هي غاية في الوعي وتنم عن ملاحقة دائمة للمشاكل التي يعاني منها الانسان الذي لم يشارك مشاركة موضوعية في هموم الحرب اي بعبارة ادق لم يحمل السلاح ليحقق ذاته داخل الجماعة .

وكان طيلة الاحداث يبحث عن فرصة يرضي فيها وضعه الروحي او غير ذلك لكن الحرب لم تترك له هذه الفرحة اذا انها زجته في احتمالاتها دون اي اذن منه رغم جميع المحاولات التي يقوم بها هذا الانسان ليتجنب ذلك ، ويمكن لي ان اقول ان « الياس خوري » هنا يحاول ان يقدم لنا صورة عن الواقع الاجتماعي الذي عاشه المجتمع اللبناني خلال الحرب ، لكن هذا التقديم جاء

كتب

« موجز تاريخ العراق الحديث »

□ صدر مؤخرا كتاب بعنوان « موجز تاريخ العراق الحديث ١٩٢١ ـ ١٩٥٨ » ، لمؤلفه « حليم احمد » ، والكتاب الذي يقع في (١٩٠) صفحة ، صدر عن دار ابن خلدون في بيروت ، وثمن النسخة منه تسع ليرات لبنانية .

■■

الطبعة الرابعة من « اسرار العسكرية الاسرائيلية »

□ صدر عن دار المسيرة الطبعة الرابعة من كتاب « اسرار العسكرية الاسرائيلية » لمؤلفه معين احمد محمود الذي يشمل بالاضافة الى الارضية السياسية التي تتناول جانبا تاريخيا من الصراع العربي الصهيوني ، شرحا تفصيليا موسعا عن القوات الاسرائيلية ، بكافة قطاعاتها ، مع مقدمة عن تاريخ تكون الجيش « الاسرائيلي » .

باسلوب متميز وخاص ، وجاء تناوله للعناصر داخل القصة ليضعك امام بداية العموم التي يتصادم بها الانسان « العادي » ليدفعك بعد هذا الى استنتاج وحيد وهو ان هناك ثقوب داخل الحرب علينا ان نملأها ، في الحروب القادمة ، وهذه الثقوب هي عدم الاشراف الكلي على المجتمع واعطاء كل حلقة اجتماعية دورها الذي يمكن ان تلعبه ، في « ساحة الملك » تظهر شخصية برجيس نهرا ، الماروني من بلدة بدادون قاتل في فيتنام مع فرقة اجنبية فرنسية لصالح الامبريالية ، وتزوج هناك من امرأة فيتنامية ايضا ، وحارب رغم يقينه أن الفرقة الاجنبية التابعة للقوات الفرنسية سوف تهزم ، وبقي هناك الى ان انتهت الحرب وعاد الى لبنان ، وبرجيس نهرا في هذا السياق مرتزق حارب لاجل غاية شخصية الا وهي الخلاص من السجن الذي فرض عليه اثناء تواجده في فرنسا وكان خياره الوحيد السجن او الالتحاق بالفرقة الفرنسية .

ويأتي هذا السرد الذي يقدمه « الياس خوري » ليصور لنا جانبا اخرا ومهما في الحرب اللبنانية ، وهو التدخل المباشر من قبل الامبريالية لحماية مصالحها الانية والتي تنتهي لغير صالحها ابدا وإدائما ، ليضعك بعد هذا امام حتمية انتصار المبادىء الثورية التي يقاتل من اجلها الانسان الملتزم في سبيل الجماعة وليس الفرد ، بينما شخصية « برجيس » قاتلت من اجل الفرد على حساب الجماعة .

بعد هذه القراءة لمجموعة الياس خوري « الجبل الصغير » استطيع ان اضع بعض العلامات النقدية على هذه المجموعة :

يقوم الياس خوري بعملية تطويق فكري واعي للحرب اللبنانية ، معتمدا في هذا على شحذ الذاكرة ليقوم لنا المشكلات غير العادية التي اصيب فيها المجتمع اللبناني خلال الحرب ، ويتم هذا التقديم الى جانب الذاكرة عن طريق استنطان الكاتب لمرحلة طفولته وتدوين مراحل حياته التي لم تكتسب على اي حال صفه الذاتيه بقدر ما تحس انك موجود داخل الموضوع وجودا لا مراء فيه ، فجاءت الكتابة مادة ثمينه عن الواقع يتركك الكاتب وسط هذه المادة امام بداية مفتوحة عليك ان تحقق احتمالك وسطها من خلال المشاركة ، مع الاشارة الى أن الياس خوري ليس محايدا بل كان قد قدم مجموعته عن الحرب من خلال مشاركته فيها ، وهذه سمة جديدة في الكتابة القصصية .

وفي النهاية نستطيع القول ان « الجبل الصغير » نموذج ناجح للكتابة عن الحرب ، من خلال عكس التفاصيل اليومية والمفاصل الاساسية للمفاهيم السياسية والاجتماعية والثقافية التي افرزتها الحرب اللبنانية ، اضافة الى أن قصص « الياس خوري » هذه كانت محاولة لطرح شكل جديد للقصة القصيرة فرضه المضمون الجديد نفسه .

حسين نصرالله

خاطرة

الوَديع شهيد ... الوَردة مسلحة

نحن ..

أخضر حد اللون مرجنا .. ليله ليل
وبعضه النهار
يشعل وحشته ... لا ينام ..
في البعد جواد اسود ، بالماء يخوض ...
يبرح المرج بعيدا ، بعيدا ... ويعود ..
عودته سيفا ، فارسه سيد فقير .. حذار
التشكك برؤعده
حذار اللعب بوجهه
حذار .. الفقير ..

الفقير ..

ان هو الا غضب البلاد المحزوزة من العذاب ... الى العذاب هلال الدنيا ...
هم في المحاق .. (فانهم) .. صرت كوة من معدن لا يغتفر .. تدر الضياء ، وتزهر لليالي اقتدارا حدوده الضاد ..

في السر ..

إيدعك الزمان نهرا ... فؤاقيته بوردتين .. واحدة في الصدر غافية ، وواحدة للبلاد الجميلة ..
نمت وردة الصدر شيئا لا يرى ..
ووردة البلاد عرشت زيتونا من نحاس ..
وزعترا من رقيق الحرير .. واصابع من خوف وحلو ..

بعدها ..

نذر على قدر المخاوف .. وتمهلنا الدنيا وقتا ... نسرق ، .. نؤرق .. فنؤوب الى الخسارة ، فتحلق وتنشر الشراع بدءا من قلبك لطرف العالم مرورا بالحلم ...
الحلم الذي رايلته المهارات السياسية ..
ولم ترايله انت : لم .. ! الوقت بعد .. ايها الرفيق .

محيي الاشيقر